مناقشات

علق كاتبان فاضلان في العدد الماضي من « الاداب » على ما كتبت حول « مشكلة الاديب والدولة » ، وقد كان ما كتبت يرمي الى ابراز شكل من اشكال تأثير السلطة على الادب والفكر ، هذه السلطة التي تتمثل في الدولة باعتبارها سلطة صاحبة سيادة ، وكان اهتمامي منصبا على الدولة الشمولية أو الكلية التي تود السيطرة على كل حياة الافراد ، فلا شيء يتعلق بالانسان سواء في ذلك حرياته بل وضميره ان امكن يكون بعيدا عن متناول سلطانها ، وذلك لان الدولة الشمولية فيما تقول تمثل المجتمع ، ومن ثم فكل شيء في الحياة لا بد ان تطبعه بطابعها ، ولها ان تتدخل في أخص شؤون الافراد حتى ضمائرهم ، لو استطاعت ، ما دامت ترى ان هذا التدخل في مصلحتها ، فهي صاحبة السلطان المطلق على الافراد ، وليس هناك — كما يقول رجال القانون — قيم أدبية او اخلاقية أعلى من الدولة ، وذلك لان الدولة هي التي تضع هذه القيم وهي بمثابة المعبود ، وهي المطلق او التنين كما نرى ذلك عند هوبر ، وهيغل ... ومثل هذا الاتجاه الشمولي للدولة هو اخطر ما يواجه الادب وقضية الحرية في عصرنا الحديث... عصر الاتجاهات الشمولية للدولة سواء في الشرق او الغرب ، فسلطات الدولة آخذة في التضخم .

وكان ما كتبناه في سياق التعليق على موقف الدولة في الاتحاد السوفييتي من الادب والفن ، أو على نحو أدق استعراض لصدى هذه المسألة في العالم العربي .

وبالرغم من ان المعلقين الفاضلين كشفا عن اتجاهات نفسية منفعلة ، فاننا نحاول ان نناقش ما قالاه ، وان كانا هما لم يواجها شيئا مما ذكرنا من نقد للنظام الشمولي العقيدي الذي لا يسمح بطبيعته بنقد عقائده ، ولم يناقشا الا قضية واحدة من القضايا التي ذكرناها في معرض دفاعهما المباشر او غير المباشر ، وتركا صلب الموضوع وراحا يبحثان عن تبرير غامض وغير واع لشرعية اضطهاد الدولة الشمولية ، ويبدو ان ما قاله المؤرخ الانكليزي اللورد أكتون في عام ١٨٧٧ « ان في بلادنا اليوم كثيرا من المتعلمين يرون الاضطهاد صوابا » ، يمكن ان ينطبق على المعلقين الفاضلين وخاصة ثانيهما ، للاسف الشديد .

*

والكاتبان ، أحدهما من الاردن والاخر من القاهرة ، فأما الذي من الاردن ... « فقد جهد انيخرج من المقال بشيء معقول » ففشل ، ويجب ألا يتبادر الى ذهن احد من القراء ان ذلك لقصور في فهمه ، لا ... ان سيادته يفهم المنطق ويعرف المقدمات والنتائج ، وسيناقشنا على أساس المنطق الارسطي ، وسيلزمنا الحجة ان شاء الله ! وقد فتح الله على سيادته ، فوقف عند العمود الاول من المقال ، ورأى فيه اننا سقنا « مقدمات طويلة غير منطقية » ، وبالمناسبة لعلم سيادته لا توصف المقدمات عادة بأنها غير منطقية بل النتائج ، ولكنه يقصد ان يقول انها مقدمات غير واقعية أو غير صحيحة ، ولكن لشدة غرامه بالمنطق قال انها مقدمات غير منطقية ، اما النتائج غير المنطقية فيقصد بها عادة ، ان كان الكاتب يعرف شيئا من المنطق ، عدم اتساق او عدم اتفاق النتيجة مع مقدماتها ، بحسب قواعد المنطق الصوري ، ولعلم سيادته ايضا ان النتيجة يمكن ان تكون « منطقية » مائة في المائة ، ولا تكون نتيجة صحيحة مقبولة ... ولست أطالب سيادته ان لا يتهمنا بسوق المقدمات غير المنطقية بل أطلب طلبا أفيد من ذلك وأجدى ، وهو ان يتدبر ويتفهم معاني الالفاظ التي يستخدمها ، فذلك أجدى له ولنا ، وخاصة اذا كانت هذه الالفاظ نوعا من المصطلحات ، والكاتب

كلمة في مشكلة كبيرة

بقلم : عبد الجليل حسن

الفاضل « لم يستطع ان يوافقنا على رأينا مطلقا » ، وهذا ما نسر له اذا كشف لنا سيادته عن خطأ ... ولكن نطلب اليه بأدب « مطلق » ان يوضح لنا رأيه ، وقد أوضحه بل والاهم من ذلك انه رجل يحب المنطق « فمنطق » رأيه ووضعه في صورة قضايا منطقية ، ولكي يدافع عن « شيء » ، راح يناقشنا في شيء اخر ، ولم يخرج عن العمود الاول من المقال ، وتلك براعة وأيم الله !

لم « اصنف » وانما قلت « ان هناك على مدار التاريخ صورا متنوعة لم « اصنف » وانما قلت ان هناك على مدار التاريخ صورا متنوعة من الصراع بين السلطة والفكر بين التقييد والحرية ... وقمة التقدم الانساني لا تخرج عن ان تكون صراعا مستمرا بين القوى الحاكمة التي ترغب في استقرار الاحوال ودوامها ، وبين المفكرين المتطلعين الى صور واشكال من الحياة جديدة تغاير المألوف وتريد تشكيل الحياة على نحو اخر ، او تعرض الحقائق الجديدة فقط ... وحين يتأزم هذا الصراع ينفجر في صورة ثورة تقدمية ، تنقلب هي الاخرى بعد فترة طالت أم قصرت الى قوة راغبة في استقرار الوضع الجديد ودوامه على النحو الذي تريده وتصارع القوى الاخرى التي تبرز بعد فترة تنادي بأفكار وآراء جديدة مغايرة ... وهكذا سار خط التقدم البشري ، نزاعا بين قوى تريد السكون وقوى تريد التحرك » ، ثم قلت مباشرة انه « يصاحب هذه الحركة الانسانية القديمة الجديدة ابدا ، نوعان من الادب او الفكر » ، فالسياق اذن لم يكن سياق تصنيف بل توضيح للصورة التي قدمناها ، ولكن يحتمل ان الصورة التي ذكرتها مغلوطة... فكان يلزم على سيادته ان يكشف لنا عما فيها من خطأ .

فما هما هذان النوعان من الادب او الفكر ؟

ذكر المعلق الحصيف اننا صنفناهما الى « نوعين ، أولهما أدب بدعم الوضع القائم — يقصد الوضع السياسي القائم في الدولة — ويدعو له ويمجد ما هو كائن ... » ، وهذا يكشف عن حصافة الكاتب ومعرفته بالقصد وما بين السطور ... وأنا لم أقصد « الوضع السياسي » ، والا كنت قلته ، وقد عبرت « بالوضع القائم » لاشير الى الوضع الحضاري كله بمختلف جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، هذه واحدة ، أما الاخرى فلم يكلف السيد نفسه ويقرأ بعناية ما ذكرناه عما نسميه بأدب الدعاية الوقتي ، وتقييمنا له في عبارات موجزة ، فلم يكن هذا الموضوع موضوع بحثنا ، ولم يلحظ اننا قلنا ان خير ما في هذا النوع من الادب من الناحية الاجتماعية ما ساعد على تثبيت تضامن الجماعة وتماسكها ... ثم ذكر « وثانيهما ادب يتطلع الى المستقبل ، وهذا النوع من الادب يلاقي كبتا من السلطات الحاكمة، ومن ثم فهذا النوع من الادب يسميه ادبا خالدا وانسانيا بطبيعته يتابع حركة المصير الانساني » ، وبصرف النظر عن عدم دقة سيادته ، وعدم ربطه ذلك بالسياق السابق ، فاننا نقول ان ذلك بديهي لانه ادب يريد تغيير الوضع القائم ، فلا بد ان القوى صاحبة المصلحة في ثبات الوضع القائم ودوامه ، ستقابله بالكبت والردع او الرفض لانه ضدها .

ولكن سيادته عبثا حاول ان يقنع نفسه بهذا المنطق ، وتساءل « ألا يجوز ان يكون هناك ادب خالد الا اذا كان يعارض نظام الحكم القائم ؟ أو هل كل ادب يساير نظام حكم ما يجب بالضرورة ان يكون أدبا وقتيا سريع الزوال ؟ أعتقد ان جواب السؤالين هو النفي » ... بهذا التساؤل يعترض كاتبنا على ما قلنا ... ورغم ما في تساؤله من تبسيط مخل للقضية ونزعها عن سياقها ، الا انه لم يقل شيئا بل اكتفى باعتراض استفهامي ، الا اننا نوضح لسيادته اننا لم نذكر الخلود كصفة مطلقة بل قلنا الخلود النسبي ، وكذلك لا يلزم من قولنا

ان الفكر الذي يتطلع الى المستقبل ويرفض ما هو قائم ، ويبشر بما هو آت ويساعد على خلقه وابرازه ، ويتابع حركة المصير ... لا يلزم من هذا اننا ننفي عن غيره صفة القيمة الادبية ، وما دام هو رجلا مغرما بالمنطق ، فيلزم علينا ان ننبهه الى ان قواعد المنطق ترفض منطقه بشدة ، ولكي أوضح المسألة سأبسطها غاية التبسيط ، فاننا اذا قلنا ان « الادب المعارض ذو قيمة » ، وهذه قضية كلية ، يمكنك ان تصيغها على النحو التالي ، « كل الادب المعارض ذو قيمة » ، فمثل هذه القضية لا يمكن ان تعكسها فتقول « ان كل ما هو ذو قيمة (ادبية) أدب معارض » ، لانك بذلك تخالف قواعد المنطق منذ ارسطو ، ولو ان سيادته تكرم وفتح اي كتاب في المنطق لعرف ان عكس القضية الكلية الموجبة لا يمكن ان يكون كلية موجبة ... ولولا انه رجل مفتون بالمنطق ما حدثته قط في مثل هذا ، ونفس الخطأ موجود في سؤاله الثاني ... ثم تساءل حضرته معجبا : « ما رأي صاحب المقال اذا قدر لادب انساني خالد ان يعارض نظام حكم ما ان يصبح ادب دعاية بعد ان تغيرت الاوضاع لصالحه ؟ بهذا المنطق سوف يكون هناك صفتان متناقضتان لشيء واحد وهذا ما لا يقبله العلم والمنطق » ... ما شاء الله ! يا سيدي الفاضل محب المنطق .. ان « الادب التقدمي » الذي ينظر الى المستقبل لا يكون تقدميا بشكل مطلق ، فحين يتحقق ما كان يدعو اليه المفكرون حين تكون دعوتهم صادقة ، فليس معنى ذلك ان نفس الفكر والادب السابق يكون متسما بالتقدمية من جميع الزوايا بل انه يكون تقدميا بالنسبة لعصره ، ولا يمنع ذلك من ان نصفه حين يصبح جزءا من التاريخ بأنه تقدمي بالنسبة لعصره وغير تقدمي بالنسبة لعصر اخر ، وحضارة اخرى ... وتلك مسائل واضحة لا داعي للاطالة فيها . وبعد هذا لو تدبر صاحبنا ما قاله لعرف انه عبر بصورة رومانسية عما أراد ان يعارضه ، فهو يذكر ان الاديب حين يرى ان الحياة قاسية ويعبر عنها « بقلب مكلوم » و « روح شاعرة طموحة للوصول الى شيء ، وثورة على الحياة الاجتماعية ودعوة الى اعتناق وجهة نظر معينة » ، أليس ذلك هو نفس ما قلنا ، فمثل هذا الادب يعارض الوضع القائم المأساوي ، ويطالب بتغييره ، أما قوله « بأن القلب المفرح النشوان يكتب ايضا ادبا صادقا متفنيا بما هي عليه حال قومه وبما وصلت اليه من منجزات ما كانت تحلم بها في الماضي » ... فبصرف النظر عن كتابة القلب هذه ، فاننا لم نقل ان كل ادب يتغنى بالحاضر والواقع أدب دعاية بل بينا ان خير ما في هذا النوع من الادب او التعبير الذي يساير عصره ويمجد ما هو كائن ويتحرك في آفاقه ويبرز في اعياد الجماعة ويتغنى به وينال اصحابه الثمن ، هو ما ساعد على تثبيت تضامن الجماعة وتماسكها ولا يستطيع حضرته ان ينكر على مثل هذا النوع من الادب صفة الوقتية والدعاية ... بمعنى محاولة التأثير في رأي الجماعة وسلوكها اما بهدف خلق آراء يراد اقناع الناس بها من اجل تثبيت الوضع القائم او اقناع الناس بما هو قائم وحشدهم لتأييده .

***

وأما الكاتب الاخر الذي من القاهرة ، فأمره عجب ، وهو مثال طريف لادعاء العلمية والتحليل .

فماذا قال ؟

أولا ، حاول سيادته ان يستعرض القضية في صورتها العامة ، وأراد ان يلم بخيوطها ، « حتى يحدد من خلالها موقف الاديب من الدولة » ويوضحها تماما « ليس من اجل قضايا الادب السوفييتي ولكن من اجل قضايانا العربية المعاصرة ، تشكر يا سيدي ... وخيرا انتويت ، وحتى يجهز على المسألة ويقتلها بحثا وضعها في صورة « الاديب والدولة ومفهوم الحرية » .

وبالرغم من ان العرض الادعائي مليء بالتهجم ، ورمي الناس بالدون كيشوتية وغير ذلك ، الا انه لم يرد على شيء مطلقا مما ذكرنا عن طبيعة الدولة الشمولية وموقفها من الادب والفكر بشكل مباشر ، ولكنه دافع عن ذلك بطريقة غير مباشرة ، وخان قضية الحرية ... ولم يناقش مما ذكرنا الا ان زعم ان طرحنا القضية تحت عنوان مشكلة الاديب والدولة « يحوي ضمنيا مغالطة جوهرية ، وذلك لان للقضية ثلاثة اطراف لا طرفين ، الاديب والدولة والمجتمع » ... فاين هذه المغالطة ؟ ألم يعرف اننا تحدثنا عن الدولة باعتبارها السلطة العامة ، أو ما يسمى بالسيادة ، وان الدولة تفترض سابقا المجتمع ، وان من اركان الدولة ـ فيما يقول رجال القانون ـ الامة او المجتمع او الجماعة ان شئت ، ثم السيادة والاقليم ، بل ولم يكن حديثنا متجها قط الى الحديث عن الدولة والاديب الا باعتبار الحديث عن اصحاب الاتجاهات الشمولية او الكلية او الجماعية في تنظيم المجتمع ، منذ افلاطون حتى الوقت الراهن ، فكيف سولت للكاتب نفسه الزعم اننا تجاهلنا الحديث عن المجتمع !

وما معنى ان يكون كلامنا متجها الى لمس قضية موقف رجال السياسة او مهندسي المجتمع من الادب والفكر والرغبة في السيطرة عليه باعتباره وسيلة للضبط الاجتماعي ، ولكن يبدو ان المعلق المفضال قرأ العنوان وعبارة واحدة من داخل المقال لا علاقة لها بالقضية تماما ، وقيل له اننا كتبنا نهاجم موقف الدولة في روسيا من الادب ، فراح يقول كل الذي قال دفاعا وتبريرا ، وقبل ان نلقي نظرة على الذي قاله ... ما هي العبارة الاخرى التي قرأها ؟ اننا قلنا « ولاول مرة نشرت بالعربية مقاطع طويلة وافية من خطاب خروشوف عن الادب والفن في ٨ مارس ١٩٦٣ » ، فراح حضرته بتظرف فاضح يقول انه يهمه ان يقول لي وللقراء طبعا « ان خطاب خروشوف في اجتماع زعماء الحزب والحكومة برجال الادب والفن في ٨ مارس ٩١٦٣ ، ترجم بكامله الى العربية وصدر في كتيب من ٦٢ صفحة منذ مايو الماضي ... فقط حتى لا أقع في الخطأ الذي اخذته على الصحفيين كما ذكرت في مقالي » شكرا سيدي على التنبيه ، ولكن اسألك ان تقول لي من هو مترجم الخطاب ، ومن ناشره ؟ ولعلمك ان اسم المترجم ليس مكتوبا على هذا الكتيب فقد سألت عنه حتى دلني أولاد الحلال ... والمكتوب بشكل ظاهر على هذا الكتيب فعلا هو اسم الجهة التي نشرته ، فمن هي يا ترى هذه الجهة ؟!.. كنت أربأ بحضرة الكاتب عن مثل هذه ... ويكفيني ان اقول فقط وباصرار انه رغم ان الخطاب ترجم فعلا وطبع ووزع ... لا أدري كيف ... الا ان ذلك لا يعتبر نشرا بحال من الاحوال ... ويكفي هذا

ولنعد الى ما قال ... ان الكاتب المفضال افتعل بسرعة اضافة مسألة المجتمع الى الدولة والاديب ، لكي يحدثنا في عرض مكرور مبتسر لما فهمه عن التفسير الماركسي لتطور مفهوم الدولة والحرية ... ولست أرغب في مناقشة مثل هذا الكلام الان ، بل ولا أزعم لنفسي القدرة على ان أحسم الموضوع في مقال او اكثر ، كما توهم سيادته انه قد اوضح تماما موقف الاديب من الدولة ، وأضاء مفهوم الحرية « لان قضية الحرية لم تطرح بشكل علمي في الكتابات العربية » ، وهو قد طرحها بشكل علمي وانتهى منها في مقاله !

ولكن حسبي ان اذكر سيادته ان الرأي الذي تبناه ليس هو

اجمل هدية

بمناسبة الاعياد

الكتاب

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

الرأي الوحيد ، بل من المؤكد انه تصوير يحتمل كثيرا من الجدل والخلاف في كثير من نقاطه ، وان زعم قائلوه انه وحده هو التفسير الوحيد الصحيح لانه « علمي » وهو ايمان يتعارض مع طبيعة العلم وروحه ... وحتى لا نضل في متاهات الجدل ، نعرض لصلب ما اراد الكاتب ان يدافع عنه ، فهو قد حلل .. ووصل الى ان الدولة كجهاز للسلطة « حين تعمل من اجل مصالح الجماهير العريضة ، ففي هذه الحالة لن يكون ثمة تعارض بين الفنان المعبر بحق عن قضايا الجماهير العريضة من الشعب هو الاخر ، وفي هذه الحالة لن يكون المجال متسعا للطنطنة بشعارات الحرية » ، و « من واجب الدولة في هذه الحالة ان تكفل وتحمي مصالح هذه الطبقات وان تقف بلا هوادة ضد (حرية) التخريب » .

وتلك ، في رأينا ، هي القضية والمشكلة .

فالكاتب يريد ان يدافع بشراسة عن دولة واحدة هي « الدولة المقدسة » ، التي تزعم انها تعبر عن قضايا الجماهير ، وهو زعم قديم ، وأسطورة العصر الحديث الذهبية ، ومن حق هذه الدولة ان تقف (انه يعيد ما قاله مرة اخرى) « بلا هوادة وبكل امكانياتها ضد هذا الفنان الذي يبغي تمييع وجدانات الشعب والانصراف به عن قضاياه الاساسية ... خاصة وان هذا النوع من الدول يكون على وعي شديد بدور الفن الطليعي وبامكانياته الوافرة في البناء » .

ومن أسف ان هناك مشهدا حزينا من مشاهد المسرحية الانسانية يتكرر في تاريخ العالم الحديث والقديم ... وهو المطالبة بالحرية – حرية النقاش والتعبير والتفكير والحريات العامة ، المطالبة بالحاح وبعنف بل والتضحية من اجلها احيانا ، كل هذا عندما تكون في صف المعارضة ، ثم حين تستولي على السلطة تصادرها بل وتسفهها وتبرر انعدامها وتتهم المطالبين بها مثلك سابقا بالخيانة والتخريب ، كأن كل ذلك كان قيمة وسلبية او ذرائعية حتى تصل أنت .

ثم ينطلق بسرعة الى هدفه ، بعد ان يشتم جميع الذين عالجوا موقف خروشوف من الفن التجريدي ، ويأسف لسطحيتهم ، ويقف متبخترا ، ويقول « اننا بعد ان نظرنا الى القضية من جميع جوانبها نفهم موقف خروشوف من الفن التجريدي ، فهو يرى انه من وجهة نظره كممثل للدولة اتجاه تخريبي يميع وجدانات الشعب ، « ويدفع به في متاهات وسراديب مظلمة تنصرف به عن قضاياه الاساسية » ... ثم يقول الكاتب وهو يدق على نفس الطبلة بل وأعنف من اصحابها « انه لا يمكننا ان ننكر ان ترك العنان لمثل هذا الاتجاه من شأنه ان يؤثر في اطار رؤية الجماهير للجمال وفي فهمهم له » .

وقد حمدت الله ان مثل كاتبنا هذا ... ليس هناك لانه كان قد ألقى بثقل الدولة كله على طليعة الفنانين في روسيا، فيسحقهم في غمضة عين ، والحمد لله مرة اخرى ان الذين هناك اكثر عقلا وحكمة من صاحب « عدم الهوادة » وداعية العنف مع الفنانين ... ومثل هذا الكلام او الدفاع خير منه التهمة نفسها ، وهو كلام لا يحتاج الى نقاش طويل او قصير ، واني أشك ان كان سيادته يعرف ما هو الفن التجريدي حتى يحكم عليه بأنه « يميع وجدانات الجماهير ، ويؤثر في اطار رؤيتهم للجمال » ... ما معنى هذا الكلام بالله عليك ؟

وهل من اجل هذا الفهم غير المحدد ، وهذه الاحكام الفامضة على بعض القضايا الفنية ، وتوهمنا ان فنا ما « يدفع بالشعب في متاهات وسراديب مظلمة تنصرف به عن قضاياه » ... اسأل أي عاقل ما معنى هذا الكلام ؟ وان وجدت خلفه فعلا بعد لأي وجهد شيئا ما ، فقل له انني بناء على هذا سأوجه التهمة الى الفنانين ، وأسحقهم بلا هوادة ... ولو فكرت أنت نفسك لحظة ولم تكن محبا للتضحية بقرابين بشرية على مذبح عقيدتك ، فستجد انك مقدم فعلا على عمل سخيف بل غير انساني .

وهذا الموقف الذي وقفه كاتبنا المفضال ، أو عبر عنه أو ذكرنا به بالاحرى ، هو ما يمكن ان نسميه رجعية اليسار او رجعية الثورية او جمود الثوريين ، ان صح مثل هذا التعبير ، بمعنى انها ليست رجعية تحاول « ارجاع الساعة الى الخلف » ، ولكنها تحاول عندما تبلغ الساعة « هدفهم الثوري » ، ان تجعلها تقف وتدور في نطاق هذه الصورة ، وهذه الصورة عادة ما تكون يوتوبية ، اي صورة مثلى ... ولكنها لا تتحقق على الاغلب ، وهم يدورون عادة في نطاق الاعداد لهذه الصورة ، وباسم هذا الاعداد يطالبون باللاهوادة ... وبالتطهير وبالسيطرة المطلقة على جهاز الدولة (ديكتاتورية البروليتاريا) ، ولما كان من المؤكد ان هذه السيطرة شيء بغيض ، قالوا ان ذلك مرحلة مؤقتة ... أعطونا الدولة ، أعطونا مقود التنين ، وبعد مدة سيموت الوحش وتذبل الدولة وتختفي وتعود الحرية التي اخذناها ... وان العصر الحديث وما أسبغه من سلطات على الدولة ، استتبعت ظهور حركات مناهضة الدولة والحكومة والسلطة فيما عرف في القرن التاسع عشر من مذاهب مناهضة السلطة او انكار الحكومة كما تمثل لدى كروبتكين وباكونين وما دعي في العربية باسم الفوضوية ، وكان ماركس وانجلز ولينين متفقين في تفكيرهم الى حد بعيد مع هؤلاء رغم معارضتهم الشديدة لهم ، حين قالوا بأن الدولة سوف تختفي في المستقبل حين تختفي الصراعات الطبقية ولا تكون هناك طبقات فلن يعود المجتمع في حاجة الى الدولة وستختفي من تلقاء نفسها او على الاقل سوف تختفي وظيفتها في الاكراه والقمع ... ولا ننسى ان هذا التفكير جميعه وليد مرحلة واحدة وبيئة متقاربة هي بيئة اوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وفي النهاية أحس الكاتب بالمزلق الوعر الذي انساق اليه فاعترف بأنه « لا يجب ان يفهم من هذا انني مع تدخل الدولة السافر وتسلطها على كافة نشاطات الفكر لانني أؤيد تماما حرية الفكر » – اذن فهو ليس مع تدخل الدولة « السافر » ، فهل هو مع تدخلها غير السافر ؟ وهل يتفق ايمانه بالحرية مع دعوته الى اللاهوادة مع الفنانين ؟

***

اننا مع القوى الوليدة التي تبرز على انقاض القديم ، وهناك دائما قوى جديدة باستمرار ... وينسى الاخوة اليعاقبة الجدد اننا حين نطبق نفس منهجهم الجدلي سيكونون هم أول المتنكرين له ، اذا لم نصل الى نفس النتائج التي يشتهونها .

القاهرة — عبد الجليل حسن

يصدر قريبا عن دار النشر للجامعيين

الحركة العربية الواحدة

بقلم عبد الله الريماوي

اول كتاب في موضوعه يعالج
مسألة الحركة العربية الواحدة
بمنطق عقائدي قومي ثوري

في الحرية والدولة والخلق الفني

بقلم مزاحم الطائي

يبدو لنا ان المصادرة على المطلوب صفة لازمة لتفكير المذهبيين وهي ملجأهم الاخير كلما اعوزتهم الحجة في اقناع الاخرين بفرضياتهم الفكرية فيعرضون مسلماتهم نفسها كدليل على صحة ما يقيمون عليها من فرضيات، ومما يزيد هذه الظاهرة وضوحا وشيوعا عندهم وعورة القضايا التي يتناولونها ، والمذهبي عادة لا يطيق صبرا الا بالاحاطة بكل شيء في المجتمع والوجود ووضع قوانين كلية لاوسع واخطر المشاكل الانسانية ببساطة لا متناهية .

فبعد ان يلفي السيد صبري حافظ (في العدد الثاني عشر من الاداب) من الوجود كل الكتابات القيمة في العربية عن الحرية بجرة قلم وباسم العلم المسكين (مع ملاحظته ان العلم هو المذهب حتما بنظر المذهبيين فنظريات آينشتين وفرويد ومندل تعتبر لا علمية في روسيا لانها لا مذهبية فحسب) يقيم عشرات الفرضيات على مسلمته القديمة « قضية الحرية مرتبطة اصلا بعلاقات الانتاج » وليس من دليل على صحتها سوى الايمان مقدما بصحة المسلمة نفسها .

ورغم ان مسألة الحرية اضخم من ان نحيط بكل جوانبها في هذه الكلمة وان مهمتنا ليست وضع مفاهيم محددة لها فاننا نود ان نقول ان الحرية التي عناها الكاتب الفاضل ليست الا حتمية مستورة ، فالانسان برأيه ـ وهو طبعا نسخة مكررة لما في كتب المذهب المقدسة ـ عبد في كل ادوار التاريخ وبكل امكانياته الباطنية بضمنها الفكر والفن لعلاقات الانتاج وليس من سبيل امامه غير التكيف وفقا لمتطلباتها .

ولا شك ان ارادة الانسان تخضع لقوى كثيرة مادية ومعنوية مما يخرجها من طبيعتها الحرة ، فكثير من افراد الشعبين الاميركي او الانجليزي عاجزون عن الالتحاق بجامعات هارفارد او كمبردج مثلا لان دخولهم السنوية تقل عن كذا الف دولار وبعض الاشخاص لا يجدون مناصا من قراءة كل ارقام السيارات التي تمر بهم في الشارع وبصورة قهرية وكل الناس لا يستطيعون الحركة على الارض الا وفقا لقوانين فيزياوية معينة، الا ان كل تلك القوى الاقتصادية والنفسية والطبيعية الطاغية على الانسان لا تؤلف الاطار الوحيد لارادته بل ثمة كينونة تختفي وراء كل تلك الظواهر ، وكما قال سارتر فثمة شيء لا يتغير يختفي وراء الاوضاع التاريخية المتغيرة والتي يطيب لجماعة معينة من المذهبيين الاستشهاد بها كثيرا .

وذلك الشيء الخفي الذي ندعو بالحرية ، ونستطيع مع تجاوز كبير ان نعرفه ـ حسب رأينا الشخصي (لان التعريف حد منطقي للظواهر الفيزياوية فقط) بالقدرة على الفعل ، ليس شعورا مبهما في ثنايا النفس بل تصميما باطنيا ينبع من ذات مقتنعة ليتحقق في عالم حسي ملموس وليخلق بدوره امكانيات واحتمالات جديدة امام صاحبه وامام الاخرين ، ولهذا فان قدرة الرأسمالي على استغلال عمال مؤسسته مثلا لا تعتبر حرية بنظرنا ما دامت تخنق كل امكانيات هؤلاء وتعرقل تفتح ذواتهم على عالم ثر خصيب .

هذا اعتراض رئيسي على مصادرة الكاتب المحترم عن الحرية . واما بقية الاستنتاجات التي ، ذكرها عن سيطرة الاحتكارات وكبت الافكار في الولايات المتحدة فرغم اننا نؤيدها في النتيجة تماما الا انه كم كان من اللائق ان يسوقها كحجج على كاتب من اعضاء منظمة حرية الثقافة او ما شاكلها ، وليس على كاتب عربي يبدو مخلصا في وجهة نظره من قضية الحرية ولم يبد عليه قط انه اتخذ من المفهوم « البرجوازي » اساسا لها او ادعى ان اميركا بلد الحريات !

ورغم ذلك فقد بدا المثال الكامل الوحيد الذي جاء به في استنتاجاته تلك ساذجا حتى بالنسبة لمن قلنا انه يجب توجيهها اليهم ، ففي الوقت الذي يستطيع واحد منهم (على احمد سعيد في كتاب قضية باسترناك) ان يبرز قائمة طويلة باسماء الكتاب والشعراء الذين اعدموا او انتحروا في روسيا السوفياتية لم يأت الكاتب المحترم بغير هوارد فاست (المثال التقليدي) ويظهر ايضا ان السيد حافظ قد فاته متابعة النشرات المذهبية الحديثة والتي اعتبرت « هوارد فاست العظيم » انهزاميا ومستسلما للمكارثية الاميركية بعد موقفه من قضية المجر : ولا اعلم بعد ذلك مدى صحة ما قاله من انه « مات في غياهب السجون ! ».

ومن الغريب ان يدعى السيد حافظ ان كاتبا كبيرا مثل لويس عوض (مع الانتباه الى ان كتاباته في فترة معينة من حياته الادبية كمقدمة « بروميثوس طليقا » « وفي الادب الانجليزي الحديث » نالت الاعتراف الشرعي الكامل من دعاة المذهب في العالم العربي) لا يملك مفهوما واضحا عن الحرية ، ولعل ذنبه انه لم يضغط ذلك المفهوم في كليشيات تطبع في صدر كل مقال يحرره وعجزه ، وان كلا من السادة صلاح عبد الصبور وسهيل ادريس وعبد الجليل حسن ليسوا من القدرة على اتخاذ موقف ذاتي اصيل من قضية الحرية وليس عليهم غير الانحياز اما الى جانب الموقف البرجوازي العفن او الموقف الماركسي المبتسر (القياس الحرج نفسه !) .

وبسبب من الصعوبات المستعصية على الحل في صلب المذهب نفسه فقد بدا تلميذا صغيرا كالسيد حافظ مرتبطا في كلامه عن الدولة وعلاقتها بالنشاط الفكري ، فهو اذ يحتج بكل شجاعة على (تدخل الدولة السافر في كافة نشاطات الفكر) لايرى تعارضا بين (الفنان الثوري والدولة التي تعمل من اجل الجماهير) !.

فالنظرية الماركسية التقليدية في الدولة هي كما يلخصها لينين في كتابه الدولة والثورة نتاج التضاداتالطبقية وجهاز السيطرة واضطهاد طبقة لاخرى وتظل غير حرة وغير شعبية ما لم يتم استبدالها بالدولة البروليتارية بثورة عنيفة ، وقد ذكر برتراند رسل في كتابه « سبل الحرية » ان اراء ماركس في الدولة بعد الثورة غير واضحة تماما . الا انه منذ قيام الدولة السوفياتية في روسيا اصبح واضحا للعيان ان النظرية الشيوعية قد تحجرت عند الموقف الذي سبق واستنكره الاشتراكيون الثوريون (كبا كونين) على ماركس الا وهو دفع الحركة الاشتراكية صوب طغيان بروقراطية الدولة بدلا من النضال الجاد في سبيل افنائها ، وثبت ان هجوم ماركس على الدولة لم يكن الا هجوما ديماغوغيا متذبذبا ظهرت نتائجه فيما بعد ، في عهد لينين وستالين حيث قاما بفلسفة الاتجاه الجديد الى دكتاتورية الدولة الفظيعة ومقاومة الاراء المعارضة في داخل روسيا نفسها كاراء بوخارين وتوخاتشيفسكي الداعية الى نبذ حكم الدولة في فترة الانتقال الى الاشتراكية ، وانتهى المذهب من الناحية العملية الى تخليد كيان الدولة وجعله كيانا مجردا (فوق العلاقات الاجتماعية نفسها وخلافا لقواعد المذهب) باستطاعة اي من البروليتارية او البرجوازية الاستفادة منه دون ضرر .

هذا في الوقت الذي اعتبرت الدولة بنظر المفكرين الاحرار احدى القوى المتسلطة على ارادة الانسان والتي لا مجال للتهاون معها مطلقا . وقال ستيرنر ان ليس للدولة الا غاية واحدة هي اخضاع الفرد واستعباده والحاقه بشيء وهمي اكثر شمولا منه ولا يمكن لها ان تنهض لا في عهود تخلف الفرد وضعفه ، وسارت الحركة الاشتراكية الثورية العالمية في هذا الاتجاه فعلا . ويقول المفكر اليوغسلافي ادوار كاردل ان الدولة لا تصبح اشتراكية الا عندما تبدأ بالذبول .

والفكرة الاخرى التي تشتمل على المصادرة المنطقية في كلمة السيد حافظ « ان طبيعة الانتاج الفني تحددها على المدى الطويل جدا طبيعة علاقات الانتاج السائدة » وهي فكرة قديمة مللنا من كثرة اقتباس الاتباع لها ، ومن اشد الافكار تجريدا في كتابات الماركسيين ويكاد اصحابها يقتصرون في تبريرها على بضعة شواهد بالية من عهد بليخانوف او بضعة تعليقات جانبية غير مقنعة لانتاج كاتب معين ، بل ولجزء من انتاجه . وكم كان بودنا ان نقرأ محاولة واحدة جدية تستطيع اخضاع كل النتاج الادبي والفني لعصر معين لطبيعة علاقات الانتاج القائمة فيه .

اذ يبدو لنا ان كل عصر ادبي (كالادب الفرنسي في القرن الثامن عشر او الادب الاميركي في القرن العشرين) يحوى سمات الادب في المراحل السابقة والتالية له حسب اصطلاح اتباع المذهب الماركسي (ادب البطولات الفردية الاقطاعي وادب الجنس البرجوازي وادب الاهتمام باوضاع الكادحين الاشتراكين مثلا) . وان اختلاف تلك المراحل لم يكن عائقا ابدا لاعجاب ابناء المرحلة اللاحقة لانتاج فناني سابقاتها ، فكتابات المأساة اليونانية (عصر الرق) والشعر العباسي (عصر الاقطاع) لاتزال مثار اعجابنا ونحن في عصر الرأسمالية الاحتكارية كما يقولون .

وكلمة اخيرة في تهجم خروتشوف الهزلي على الفن التجريدي ومحاضرته عن واجب الادباء السوفيات ، وقد سبق وقلنا في الثقافة القاهرية (٢٩ - ١٠ - ١٩٦٣) ان الاساس النظري لموقف خروتشوف هو ان الماركسية ترى في الفن مجرد واسطة لفهم الحقيقة الاجتماعية كما يفهمها المذهب طبعا وانه يجب ان يسخر في خدمة الطبقة العاملة والحزب الذي يحمل رايتها ، ونضيف هنا ان ما اثار اهتمام الناس فيه ليس تعصبه الزائد او سماجة الالفاظ المستعملة بل ما يدل عليه الهجوم نفسه من عجز اعتى مذهب صلد عرف حتى الان عن الوقوف امام تيارات الفكر الحر وازدياد هبوبها شدة وسعة يوماً بعد يوم .

الاعظمية (العراق)　　　　**مزاحم الطائي**

النقـد والاخلاق

بقلم صبيح رديف

النقد عملية تقييم وبناء لا عملية تلفيق وافتراء ، تلك حقيقة يعرفها كل الذين عانوا ويعانون عملية النقد والابداع الفني في ادبنا العربي الحديث في كل المجالات الادبية المختلفة القضايا والاهداف والتطلعات .

والنقد ليس عملية ابتذال وسب وشتم وشهرة زائفة تأتي عن هذا الطريق وعلى حساب الاخرين فان مثل هذا الاسلوب يسيء الى اصحابه ويرمي بهم في مهاوي الندم بالابتعاد عن قيمنا العربية الاصيلة التي خطت لنا اسلوبا حياتيا رائعا وجميلا في جملة العقيدة التي حمل لواءها اول رائد للعقيدة الحقة الرسول العربي الكريم محمد (ص) فاين نحن منها ومن سمو اخلاقه وطريقته في الحياة وفي معاملة الاخرين؟. فان لم يستطع ذلك الناقد المحترم فليس من حقه ان يتباكى على العقيدة والادب العقائدي !.

لقد اراد بهذا الاسلوب الذي اتبعه ان يشار له بالبنان على انه (ناقد) ولا يهمه ان يكون (ذلك) عن طريق الاختلاق والكذب .

بمثل هذه (التقدمة) الكلامية اردت الرد على ما ورد فيما كتبه السيد عبد الرحمن الطهمازي تحت عنوان (واقع الادب في العراق) في باب (مناقشات) من مجلة الاداب القراء (١) لاضع الحقائق الناصعة امام القراء كي تظهر (الشخصيات) التي تريد وتطلب الشهرة بالكذب والتلفيق عارية لا لتسيء الى نفسها وانما للاساءة (المقصودة) بمجلة ادبية معروفة مثل مجلة الاداب .

ايها القاريء العزيز تعال لنقرأ معا ما كتبه الطهمازي في هجومه على جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين وبقدر ما يتعلق الامر بي (ايضا) قوله ((اما مأساة ((الفكرة الاصيلة)) فهي اخطر ازمة عاشتها الجمعية ، فمن كتاب (يوسف عز الدين شاعرا وانسانا) الذي كتبه (صبيح رديف) والذي اشيعت حول تمويله الشائعات . وبعد انتشار الحقيقة لم يخرج الكتاب الى السوق بعد الاعلان عنه في الصحف والمجلات ، ولكنه وزع بسرية الى الاصدقاء الكثيرين !! ولا تزال عشرات منه في البيوت تنتظر الاصدقاء)) .. فلا يسعني الان الا ان اوضح الحقيقة . فالكاتب رغم ادعائه قراءة الاعلان عنه في الصحف والمجلات لم يستطع ذكر اسم الكتاب بصورة صحيحة ، والشيء الاخر ان الكاتب قد فاته ان يذكر ما هي الشائعات التي حامت حول تمويله والتي حالت دون اخراجه الى السوق مما ادى الى توزيعه بصورة سرية . ولا ادري لم هذه السرية ؟. هل هو منشور حزبي ؟ فالمعروف انه حتى المنشورات الحزبية (السرية) توزع على اكبر عدد ممكن من الناس بما يشبه العلنية (كما كنا نرى) . فكيف والحالة هذه بالنسبة لكتاب نقدي اعلن عنه في الصحف والمجلات لا يصل الى ايدي الناس ويتمتع به الاصدقاء (فقط) دون الاخرين . ان الذي اطلبه من (الاديب الناقد) هو ان يدلنا على المطبعة التي طبعت الكتاب سواء كانت داخل العراق او خارجه واني اتحداه ان يجد نسخة واحدة (مطبوعة) عند الاصدقاء (كما ادعى) او عند غيرهم .

فعلام هذا الكذب ايها الرجل ؟ افلا يمكن ان يصبح الناس كبارا في عالم الادب دون الالتجاء الى الكذب والتلفيق ؟

والفرية الثانية التي اطلقها عبارته التالية التي لفقها على الدكتور يوسف عز الدين حول مقال له نشر في مجلة المعلم الجديد (البغدادية) بقوله ((واما في الشعر فموقف الدكتور يوسف عز الدين مشهور ، وخاصة في دعوته لـ ((ادب المناسبات)) في مجلة ((المعلم الجديد)) سنة ١٩٦٠ . والتي يتصور فيها ان ادب المناسبات هو ان يتغنى الشعراء ((بمنجزات ثورة تموز وبطل تموز)) كذا)) . وحينما رجعت الى المقصود الذي كتبه الدكتور يوسف عز الدين لم اجد هذه العبارة التي ذكرها الناقد المحترم اطلاقا . فاين هي الامانة في النقد ايها الرجل ؟. هل هي (عندك) في اجازة ؟.

ان من حق اي انسان سواء كان من القراء او النقاد اعطاء آراء (تذوقية) ساذجة او نقدية معللة حول اي اثر فني ولكن ليس من حقهم شتم الناس وسبهم او صب لعنات الحقد الاسود على الاثار الادبية قبل الاطلاع عليها او رؤيتها (دع عنك قراءتها) . فاي امانة فكرية او نقدية يمكن ان يدعيها (الطهمازي) ويواجه بها القراء والادباء والنقاد في المستقبل وهو يقوم بعملية بناء مجده الادبي !؟.

بغداد　　　　**صبيح رديف**

(١) راجع مجلة الاداب العدد الحادي عشر . تشرين الثاني - ١٩٦٣

صدر حديثا :

تأليف :
الدكتور خير الدين حسيب

تقدير الدخل القومي في العراق
١٩٥٣ - ١٩٦١

عن دار الطليعة - بيروت ص.ب ١٨١٣